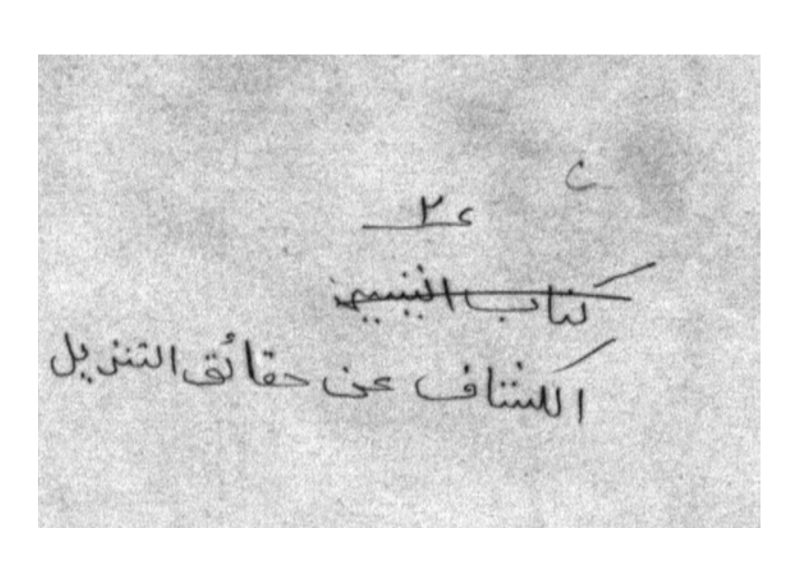
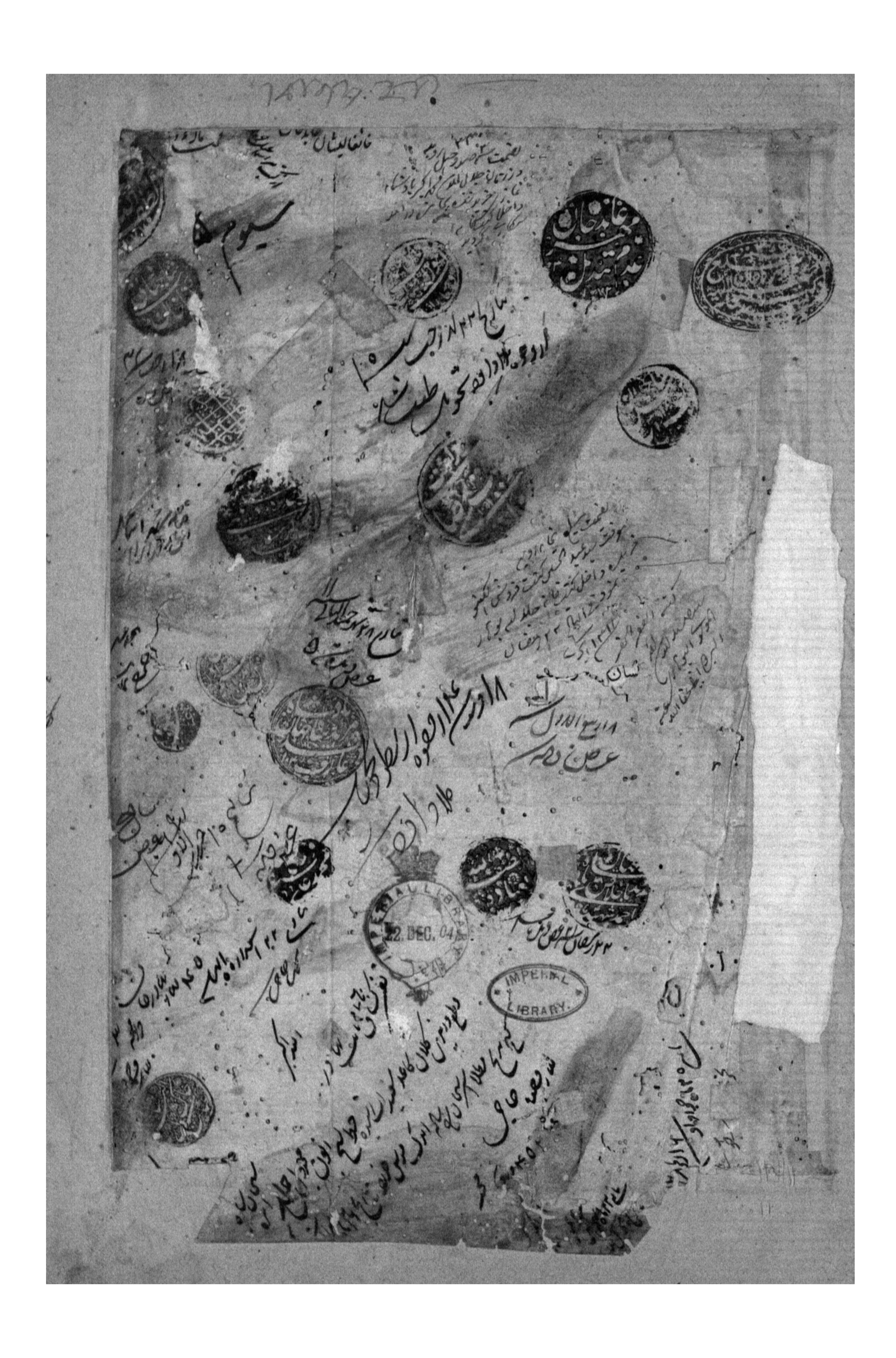


ج٢

~~كتاب التنبيه~~

الكشاف عن حقائق التنزيل


IMPERIAL LIBRARY
22 DEC. 04
IMPERIAL LIBRARY.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مؤلفا منظما ونزّله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما
واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصّله سورا وسوّره ايات وميّز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات
منشا مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا
برهانه وحيا ناطقا ببيّنات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من طولب
بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدّي به من مصاقع الخطباء فلم يتصدّ للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم
ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض
منهم عرق العصبيّة مع اشتهارهم بالافراط في المضادّة والمضارّة والقائهم الشراشر على المعازّة والمعارّة ولقائهم دون المناضلة عن
احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرّد
لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حدّه فما اعرضوا
عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطمّ على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة على خير
من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤيّ ذي الفرع المنيف في
عبد مناف بن قصيّ المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى
وعلى اله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة
طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصنّاع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة
او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه
الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عدّ الف
بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيها مباحث للفكر ومن غوامض اسرار
محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصّهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمنّ عليهم بجزّ نواصيهم واطلاقهم ثم ان املاء العلوم بما يغمر القرائح وانهضها
بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه
واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام
والمتكلم وان بزّ اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ
كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم
احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم
المعاني والبيان وتمهّل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف
حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلعم بعد ان يكون اخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق
وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه وردّ وردّ عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في

اية من كتاب الله تعالى فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء
كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل
يبدا في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون
وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك قول العرب للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او
نكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم فريق قاعد فقال نحسد الانس الطعاما فان قلت لم قدرت المحذوف
متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل في قوله اياك
نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله باسم الله مجراها ومرساها فان قلت فقد قال اقرا باسم
ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت ما معنى تعلق
اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد
ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله فهو
ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في
قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفا
والبنين وهذا الوجه احسن واعرب فان قلت فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله تعالى اقرا قلت هذا مقول على السنة
العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من القران على هذا المنهاج ومعناه
تعليم لعباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد
ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة
وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد
الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان
دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام
والرصانة واذا وقعت في الدرج لم يفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال
سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه
كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى
النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله تعالى باسم
ربك الاعلى قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا
طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور
الميم والله اصله الاله قال شعر معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال شعر ان المنايا
يطلعن على الاناس الامنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال
يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق

حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها
متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات
الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في
الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير اية فابرزت لهم
بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين
ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع
بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان
الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا
ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان
كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا
ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل
بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملي متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز
ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الاشرف الامام
شرف ال رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم
مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم
ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت
علي المستقالة وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب
فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار
خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت المحرم
وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط
يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى
وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد
والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او
مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفا والشافية وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من
مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية
من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو
مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة
ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد
القران ولذلك لم يثبتوا امين فلولا انها من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة

كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه
والله بحذف الهمزة مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر
في الاشتقاق من الناقة والحجر فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا
تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو
جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق ان
ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى
التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح
فان قلت هل تفخم لامه قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا
عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم
وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الاخرة ويقولون ان الزيادة في البناء
لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان انه الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم
بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطايف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي
فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران
والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول
الشاعر فيه وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته
من بابه اعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه
بالله تعالى يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك ان يكون له مونث على فعلى كعطشى فقد حظر ان
يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص
وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت
هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة
والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الادنى
الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها
اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف الحمد والمدح اخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة
وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان
والجوارح قال شعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه
قوله عم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع
لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان
وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء
وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال

مضمن في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون
بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة
على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه
والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فان
قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد
ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقراء الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال
لاتباعها اللام وقراء ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة
كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل
الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول ابي سفيان لان يربني رجل من قريش
احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة
وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقراء زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل
عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق
من الاجسام والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات
العقلاء او ما في حكمها من الاعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ ملك يوم الدين ومالك
وملك بتخفيف اللام وقراء ابو حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقراء ابو هريرة رضي الله عنه مالك
بالنصب وقراء غيره ملكَ وهو نصب على المدح ومنهم من قراء مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن
الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى
مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان
قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما يكون غير حقيقية
اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك
هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم
الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة
ابي حنيفة رحمه الله ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته
وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب
والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد
احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك
واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارأيتك وليست باسماء مضمرة وهو

وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون اما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه
وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد وقوله قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك
بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر
الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية
الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولي اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت
لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلث ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت
له ليلة كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم
فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب
واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجري عليه تلك الصفات العظام
تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له
لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين
ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة
ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه
على اداء العبادة ويكون قوله تعالى اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم
وانما كان احسن لتلائم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام
او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار
موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي رض وابي رضه اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما
طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة
اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد يشم الصاد صوت الزاي
وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث
كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير
العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن امن منهم فان
قلت ما فايدة البدل فهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير
والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على
ابلغ وجه واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل

من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا
للاكرم الافضل فجعلته علما فى الكرم والفضل كانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين
لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله
عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل
هم الانبياء وقراء ابن مسعود رضى الله عنه صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى
ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله تعالى والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهى نعمة الايمان
وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى
المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس فى غير اذن الابهام الذى يابى عليه ان يتعرف وقرى بالنصب على الحال وهى قراءة رسول الله صلعم وعمر بن
الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير فى عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تع من لعنه الله وغضب
عليه والضالون هم النصارى لقوله تع قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة
بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت اى فرق بين
عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا
فى ولا الضالين قلت لما فى غير من معنى النفى كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع
قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلى رضى الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقراء
ايوب السختيانى ولا الضألين بالهمز كما قراء عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ومنها
ما حكاه ابو زيد من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمى به الفعل الذى هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت
بها الافعال التى هى امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضى الله عنهما سالت رسول الله صلعم عن معنى امين فقال افعل
وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبى صلى الله
عليه وسلم لقننى جبرئيل امين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل انه
لم يثبت فى المصاحف وعن الحسن رحمه الله لا يقولها الامام لانه الداعى وعن ابى حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه
انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلعم وعند الشافعى يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبى صلعم
كان اذا قراء ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلعم انه قال لابى بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل
فى التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثانى والقران العظيم
الذى اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلعم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبى من
صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية
وهى مائتان وسبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اعلم ان الالفاظ

يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركب الكلم فقولك ضاد اسم يسمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را ابا اسمان
لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحذان والاسامي
عدد حروفها مرتقى الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما
ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل
والحوقلة والحيعلة والبسمله وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم
كما تقول واحد اثنان ثلثه فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت
الى تادية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت
ان تلقى على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسابها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا ابسمة من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب
بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المقدمين
قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح والتسامح وقد وجدناهم
متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف والمستعملين للحرف في معنى الكلمة
وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين
الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك بايا
وبالتفخيم كقولك ياها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت
من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي
في لك والباء في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جيتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة
في يس وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل
الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من
الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد
مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهولاء ولم يقل صاد قاف
نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك
يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مدت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل
والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد
تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة
فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها
في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه
الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فانها
موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتاتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارا
بجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسايغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قايل محمد بن طلحة السجاد

وهو شريح بن اوفى العبسى يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها الصرف وكذا
كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء
صورته الاولى كقولك دعنى من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال وجدنا فى كتاب بنى تميم احق الخيل
بالركض المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعى بلالا وقال الاخر تنادوا بالرحيل غدا
وفى ترحالهم نفسى وروى ويقول اهل الحجاز فى استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من
اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك فى حاميم وطاسين وياسين
لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافى ان بعضهم قرا ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا
الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واى الله لافعلن على حذف حرف الجر
واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا رب من قلبى له الله ناصح ومن قلبه لى فى الظباء السوانح وقال الاخر فذاك امانة الله
الثريد قلت ان القران والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد
استكرهوا ذلك قال الخليل فى قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا
بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء فى قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال
سيبويه قلت للخليل فلم لا يكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول
على شيء لجاز ان يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد
لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتى ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا ولا
سبيل فيما نحن بصدده الى ان يجعل الواو للعطف لمخالفة الثانى الاول فى الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية
لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت فى موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل
الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد بعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء
الساكنين والذى يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامى شاكلت لذلك ما اجتمع فى اخره ساكنان من المبنيات فعوملت
تارة معاملة الان واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لى فى المحكية مثل ما سوغت لى فى المعربة من ارادة معنى القسم
قلت لا عليك فى ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا فى نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين انا جعلناه واما قولهم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالنصب والجر جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى
تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى فى ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من
مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرانا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على صور الحروف انفسها لا على
صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت
وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع فى الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة فى كتابة هذه الفواتح وايضا فان
شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال

غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم
الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله
ابن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه
يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الاسماء مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ
وقرع العصا لمن تحدي بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين
ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات
المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز
ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغة التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج عن قوى الفصحاء
ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول
بمنزل ولناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم يتجاوزوا ما سموا به
مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسماء واربعة وخمسة والقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي
ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى
ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة
من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصايد وهذه السور
والاي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب
من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه
الاول ان يقول التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضر
موت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء الاعداد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا
وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر
وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى
واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم
صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك
ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب
فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب
وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص
المذكورة في القرآن التي لم يكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد
بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز وجل في الفواتح
من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء

والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسعة وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر
وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها
الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة
نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها
الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء
ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة
نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة
منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته
فكان الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه
تعمده بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين
وهي فواتح سورة البقرة وال عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر
فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القران وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف
منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير
جاء في القران فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فوردت ص وق ونون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص
وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية
كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم يتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة
التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص
ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز
وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه
القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح اية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم
فاية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص اية والمر لم تعد اية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم اية في سورتيها
وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها كلها وحم عسق ايتان وكهيعص اية واحدة وص وق ونون ثلاثتها لم تعد اية
هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها اية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة اية قلت كما عد الرحمن وحده
ومدهامتان وحدها ايتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت توقف على جميعها وقف التمام اذا حملت
على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء
محذوف كقوله عز اسمه الم الله اي هذه الم ثم ابتداء فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها
محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء
واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها

محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة
الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه
ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه
لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب
الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مونث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته
فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك
وان جعلته صفته فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك
الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك
الكتاب مع الف لام ميم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة
خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما
تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد
وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او
بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره
الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المولف من
هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله رض الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر الريب مصدر رابني اذا حصل فيك
الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روي الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلعم يقول دع ما يريبك الى ما لا
يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما
تطمين له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوايبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يربه
احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه
متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منه وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو
ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال
للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في
ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل ولا كذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد
الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله تع لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها
لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع
والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب
ولا بد للواقف ان ينوي خبرا ونظيره قوله تع لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز ولا يكاد يقع خبرها
السنة بني تميم والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل

قوع الضلالة في مقابلته قال الله تع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال الله تع لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي
موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى قوله غممته فاغتم وكسرته فانكسر
واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله تعالى واكرمك تريد
طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله تع اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس
التقوى متقين كقول رسول الله صم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم ان يحج فليعجل فانه
يمرض المريض وتضل الضالة وتكف الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق
علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة
فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه
على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القران واول
المثاني بذكر اولياء الله تع والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس
واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في
الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها
تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا
على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان
ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان تضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله
الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب
بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية اخذا بعضها بعنق بعض
فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم
اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من
الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء
فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم يخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا
الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه
وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو
هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله تعالى اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا
لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقطوع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا
كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة اواردة بيانا

وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فايدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل
ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر
الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما
الم تر كيف سمّى رسول الله صلعم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال
الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار ساير العبادات واستتباعهما ومن
ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يتقرن به
مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصّلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين ويكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي
ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على ساير
ما يدخل تحت حقيقته هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته
امنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما
وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يومنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق
ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يومنون غايبين عن المومن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله
الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلعم وايمانهم
فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بيّنا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية فان قلت
فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشي غيبا
كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمين من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل
حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتجت واما ان يكون الغيب فعيلا
فخففت كما قيل قيل واصله قيّل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه
او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها
والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح
قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخلّ بالشهادة
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصّلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام
العود اذا قوّمه او الدوام عليها والمحافظة كما قال الله تعالى الذين هم على صلوتهم دايمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت
السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشي النافق
الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشي الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادايها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد
عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن ادايها بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة من صلى

كالزكوة من زكي وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره
كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصلي تشبيها في تخشعه
بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام لانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى
رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال
ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان
تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشي وانفذه اخوان وان يعقوب نفق
الشي ونفذ واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت فان قلت
والذين يؤمنون اهم المومنون غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع
والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب قلت
يحتمل ان يراد بهولاء مومنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله
وايقنوا بالاخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات
واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فريقين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ
بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام
ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور
واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم
الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهولاء غير اوليك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم
على الذين يومنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مومني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم
على المتقين لم يدخلوا فكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يومنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان
عني به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي
سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله
وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب
فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى
نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل
ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشي الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه
معقودا بعضه ببعض ومربوطا اتيه بماضيه وقرا يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي
فاعله وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته
وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم
بانتفاء الشك والشبهة عنه والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وهي
من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرا ابو حية

النميري يوقنون بالهمزة وجعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحو لحب المؤقدان الى موسى
وجعدة اذ اضاء هما الوقود اولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان الذين يومنون بالغيب مبتدا والا فلا محل لها ونظم
الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى
للمتقين فاختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله
الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا
بها من الله تعالى ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هولاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم
الله تع ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمتصفين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان
اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف
يجي تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه
فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع الثاني على الابتداء واولئك خبره قلت نعم على ان يجعل
اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون
انهم ينالون الفلاح عند الله تعالى وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل
لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله
فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم
جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف
والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما يقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى
على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي
عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت
لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها فان قلت فلم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك
هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم
بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته
الدلالة على الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا
والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون
في الاخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على

انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك
هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله
احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحون وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب
ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا يقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته
اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه
الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق
والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة
الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع
فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين في الآيتين وزان ما ذكرت
لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين
تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين
فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام اخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي
ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى
وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في ان الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي
بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف
بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر
لان واانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما
تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون ءانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم
انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام
المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم
لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من
عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على حرف
الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعني ان هذا جرى على صورة الاستفهام والاستفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن
اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب
واكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام

وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قري قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج من كلام
العرب خروجين احدهما الاقدام على جميع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو
قوله الضالين وجويصّة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين
فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله تعالى بالزجر عن
المعاصي فان قلت ما موقع لا يومنون قلت اما ان يكون جملة موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض
خَتَمَ اللّٰهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا
بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له
وتغطية له لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء
كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما
هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة ان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها
ولا يخلص الى ضمايرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجّه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف
استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله تعالى المعروضة ودلايله المنصوبة كما تجتليها
اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطّي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد
جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه قال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد
النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع عن قبول الحق والتوصل
اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا بقبحه وعلمه بغناه عنه ولقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام
للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظاير ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب
بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبّه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي
الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيّل اليك وقد وردت الآية
ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله مثلا
كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه بحال من
سال ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثّلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء
فكذلك مثّلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن
الفطن كقلوب البهايم او بحال قلوب البهايم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له
عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوّها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله
فيكون الختم مسندا الى اسم الله تعالى على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة وتفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل و
المفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز
المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول

به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذايل وفي الزمان نهاره صايم وليله قايم وفي المكان
طريق ساير ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسيب بني الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عاف
القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه
الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يومن ولا تغني عنهم الايات والنذر
ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة والمقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يومنوا طوعا
واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجيهم ثم لم يقسرهم ولم يلجيهم لئلا
ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار
عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرايهم في الضلال والبغي
ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم
الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فايدة في تكرير
الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية
على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون
ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يومن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله تعالى وفي اذانهم وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى
حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال
له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل
وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما التين للابصار والاستبصار وقري غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم
والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش و
يردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته اي يكسر العطش وهو
مقلوب كما قيل قفاح من الفوح وتنور من النار على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا
يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير
كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير
ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن ايات الله تعالى ولهم من الالام العظام
نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين
اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا

قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين
بين ذلك لا الى هولاء ولا الى هولاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا
بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذا انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال
الذين كفروا في ايتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم
واستهزاء بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين
عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في
الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم
وانهم يونسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول في وزن
قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الاتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام
التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هولاء من يقول وهم عبد الله
بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني
والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المومنين رجال ان جعلت اللام للجنس
وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اوليك والمنافقون
غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس
مغايرا للنوع الاخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس
فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تاتي بالنوعية ولا تابى الدخول تحت
الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الاخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث
وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم
يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم امنا بالله وباليوم الاخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على
وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم
في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه
من قطريه واحاطوا باوله واخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق
قوله تعالى وماهم بمومنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شان الفاعل
لا الفعل قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس
في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طايفة من طوايف المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا
شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة بذلك عليهم نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت
ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها وهو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء
الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم
ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله واليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الاخر قلت يجوز ان

يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدايم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور
الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدود الذي لا حد للوقت بعده يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب
خادع وخدع اذا امرّ الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمومنين لا تصح
لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان
يخدعوا الا ترى الى قوله • واستمطروا من قريش كل منخدع • وقول ذي الرمة • ان الحليم وذا الاسلام يختلب • فقد جاء النعت
بالانخداع ولم يات بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله تعالى حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون
صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله تعالى معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل
الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المومنين معهم حيث امتثلوا امر الله فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان
يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله تعالى ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا
بالله تعالى ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبايح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله تعالى في زعمه
مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله تعالى ويراد الرسول لانه خليفته
في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه كما يقال قال الملك كذا وكذا ورسم كذا وانما القايل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين
قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم من يطع الرسول فقد اطاع
الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفايدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المومنون من الله تعالى بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله
ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل
زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاختصار بخادعت على واحد وجه قلت وجهه ان يقال عني به فعلت
الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا
زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة
ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل
يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة
وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم وغير ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا احراصا على اذاعتها الى منابذيهم
فان قلت فلو اظهره عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهره عليهم لما احاط به علما من المصالح التي
لو اظهره عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد
من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخدعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد
وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما يقول فلان يضار
فلانا وما يضار الا نفسه اي دايرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك

يخدعون انفسهم حيث يمنوها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد
وما يخدعون فيجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدّعون من خدّع ويخدّعون بفتح الياء بمعنى
يختدعون ويُخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب
نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء لفرط حاجتها اليه
قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يوامر
نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما
نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والامرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين
والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم
ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان
لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ۝ واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض
والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى
والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقايض ذلك والمراد به ههنا
ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ومن الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلعم والمؤمنين
غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر
ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول ابن عبادة لرسول الله صلعم اعف عنه يا
رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله تع
ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة
طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه تخفق اياما ثم تقر فضعفت حين ملكها
الياس عند انزال الله تعالى على رسوله النصرة واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت
جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة قال رسول الله
صلعم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله تعالى اياهم مرضا انه كلما انزل الله تعالى على رسوله الوحي فسمعوه
كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله تعالى هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى
السورة في قوله تع فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله علم نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف
الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل
ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو وفي رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو
وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمولم كما ان
الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم
لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا

عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروي عن ابراهيم عليه السلام انه
كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب يسمى به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا
اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقري يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب
كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص او بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهايم
وبرّكت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا جري شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره
ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الي هذه مرة والى هذه مرة وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا
لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول امنا لانك لو قلت
ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا لكان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به
ونقيضه الصّلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد
ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا سعى في
الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب ابن سكيت تمالوا على الامر
اجتمعوا عليه بين طيّ حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين
بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يودي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم موديا الى الفساد
قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما القصر الحكم على
الشيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم
وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه
على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا
لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها اما والذي لا يعلم
الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة
فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون اتوهم
من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من
اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم و
في ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا
يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا
الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون كافة مثلها في ربما ومصدرية
مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول الله صلعم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه

لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية. او جعل المومنون
كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهايم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انومن في معنى الانكار واللام
في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فتقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس
وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه فان قلت لم سفهوهم واستركوا
لهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وان ما
عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم
موالي كصهيب وبلال وخباب رض فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم
وماغاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم وقالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه
سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف
على ان المومنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المودي
الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان
قايما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن
طباقا له مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقايهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم
فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا
يابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه فنزلت
ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة رحمه الله واذا لاقوا الذين امنوا
وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن
خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمومنين الى شياطينهم وحدثوهم
بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشياطين
في موضع من كتابه اصلية وفي اخر زايدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقهم من شطن اذا بعد لبعده عن الخير والصلاح
ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زايدة ومن اسمايه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم
كانت مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان قلت ليس ما خاطبوا المومنين جديرا باقوى
الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشيه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق
فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقايدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن
اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون

في رواحه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الاتري الى حكاية الله قول المومنين
ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان
يزلوا عنه على صدق رغبة ذو فور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم متقبل منهم فكان مظنة
للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم
معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزي بالشيء المستخف به منكر له
ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف
كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا لهم ما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن
مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزء يهزء اذا مات على المكان
عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزء ان على مكاني وناقته تهزاء به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على
الله تع لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الاتري الى قوله تعالى اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزي غرضه الذي يرومه هو طلب الخفة
والزراية بمن يهزء به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كتاب الله تع بالكفرة
والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يكون يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي
جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تع وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدي قوله تع الله يستهزي
بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عزوجل هو الذي يستهزي بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم بالنسبة اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل
وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ولا يحوج المومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا
قيل الله مستهزي بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزي يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد
وقت وهكذا كانت نكايات الله تع فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا
يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم الاية ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك
مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده
اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال
قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى
امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الاتري الى قوله
تع واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله تع الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه
بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تع لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه

وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت
استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله تع ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته
والا كان بمنزلة الاروي من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة
على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد
ما قلناه قول الحسن البصري رحمه الله في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة
الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة
في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله تعالى بريء منه
ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته تعالى لو لم يضف الطغيان
اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر
من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله تعالى واخوانهم
يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه
قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلكت ارضا عمهاء لا منار بها أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى
اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن وهب قال الله تعالى فيما
يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة
بالهدى وما كانوا على الهدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه ولهـ
واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة
الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل
على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي
يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند
الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له
كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك
الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى
الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة
العليا وهو ان يساق كلمة مجاز مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر
ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك
روما لتحقيق البلادة فادعوا للقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة
ومعاينة ونحوه ولما رايت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه يهجوها . فما ام الردين وان ادلت . بعالمة باخلاق الكرام . اذا
الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التوام . اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقايه بالحبل
المثنى المحكم يريد به اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم
ضم اليه التنفيق ثم الحبل التوام فكذا لما ذكر سبحانه الشراء اتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمام اليه تمثيلا لخسارهم
وتصويرا لحقيقته فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم
شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة
وحين لم يبق في ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال
خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون
بما يربح فيه ويخسر لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء
المثل والنظاير شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقايق حتى يريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم
في معرض المتيقن والغايب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لصورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله تع في كتابه المبين
وفي ساير كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الانبياء عليهم السلام والحكماء قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون الاية ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول و
القبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي عن التغيير فان قلت ما معنى قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا حتى
شبه احد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه
قال حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك من العجائب
قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم
وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان فان قلت كيف مثلت الجماعة
بالواحد قلت الشان وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم
مقام القايمين ولا نحوه امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته
حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان
جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او
قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه
تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله
تعالى ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواتها وقد في الجبل اذا صعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقهما من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة
واضطرابا والنور مشتق منها فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون
والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله تع هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير

متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشيا، ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه
وجه اخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة
في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت
فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله تعالى فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه
لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي
حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سايل فقال ما بالهم قد اشبهت
حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في
هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في
حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تع في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار
بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد
نار لا يرضاها الله تع ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا
ترى الى قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاضاءة الى بعض المعاصي
ويتهدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله تعالى وخيب امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد
قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله تع فلما اضاءت قلت ذكر النور
ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور
عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها
وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا تتراءى فيها شبحان وهو قوله تعالى لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت
هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه
فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله تع نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ
من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين
كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله
هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين الظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني ظلمة على
التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر
المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله تعالى ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت فيم شبهت حالهم بحال
المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو ابدا

الاحاير خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه
الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله تع وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله تع بنور المستوقد اطلاع
الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المومنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله تع صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر
وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدي عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد
والضلالة التي اشتروها فطبع بها على قلوبهم بذهاب الله تع بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ
لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّ
الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم
وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس
والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع
خلق الله حين اريد وقوله فاصممت عمرا واعميته عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت فكيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقته
قولهم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات و
الافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف
فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق
حيث تطوي ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوي الكلام
كقول زهير لدي اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه
ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه
غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم
المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون
الى الهدي بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين
في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدءوا منه ثم ثنى الله تعالى في شانهم بتمثيل
اخر ليكون كشفا لحالهم وايضاحا عقيب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه
في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع وانشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما
ثني من التمثيل في التنزيل وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات
الا تري الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته يصف ناقته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه فان قلت قد شبه
المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني
بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الله الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض
بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا
والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها
ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله تع وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا

وعملوا الصالحات ولا المسئ وفى قول امرا القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدي وكرها العناب والحشف البالي
قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سايغ شرابه
وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الاية والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا
من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شئ يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل
بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس
وجاء فى القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله
تع مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التورية
واياتها الباهرة بحال الحمار فى جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله تع واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من
السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا
فلا فكذلك لما وصف الله وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيوة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما
يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء فى ليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق
فان قلت الذي كنت تقدره فى المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله فى المركب منه
قلت لولا طلب الراجع فى قوله يجعلون اصابعهم فى اذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لانى اراعي الكيفية المنتزعة
من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يليه الا ترى الى قوله تع انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف
ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين فى ذلك قول لبيد وما الناس الا
كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول
اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثانى لانه ادل على فرط الحيرة وشدة
الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك
قلت او فى اصلها لتساوي الشيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن
سيرين تريد انهما سيان فى استصواب ان يجالسا ومنه قوله تع ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفر متساويان فى وجوب عصيانهما
فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء فى استقلال كل واحدة
منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال
للسحاب صيب ايضا قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار
فى التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء اي فايدة
فى ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفايدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من
بين ساير الافاق لان كل افق من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء فى قوله تع واوحي فى كل سماء امرها والدليل
عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة
التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم

انه ياخذ من البحر ويؤيده قوله تع وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بما ارتفع ظلمات قلت بالظرف على
الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها
الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل
الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان
اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر
وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في
اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا ترى انك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغل جرمه فان قلت هلا
جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات قلت فيه
وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما
بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب
مع كونه محذوفا قايما مقامه الصيب كما قال تع او هم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى قول حسان
كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء
بردى ولا محل لقوله تع يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يوذن بالشدة والهول فكان قايلا قال
كيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد
البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤس الاصابع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في
اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي
الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي يسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر
الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها
فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها
الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم
في اذانهم كقوله سقاه من الغيم والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه
وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفيت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا
الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك
تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف
وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي
ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة

اعتراض لا محل لها يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ والخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد
يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود رض يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه
يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي رضي الله يخطف من خطّف وعن ابي يتخطف من قوله تع ويتخطف الناس
من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل
لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا
من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه
بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما
متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره
وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد
فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان
المشي وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو
الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن
اوس هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية
فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان
يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو
قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تع لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تع ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج
التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله
تع اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم يقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كساير المعلومات والمعدوم والمحال فان قلت
كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون مستحيلا
فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على كل
من وراءه منهم ولم يدخل فيه نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم اشتقاق القدير قلت
من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به من العاجز لما عدد الله تع فرق المكلفين من المومنين والكفار
والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله تع ويرديها
اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ عند قوله تع اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت

لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه مافرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت
يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة فى مجاري امورك وتستوي على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته
بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة
هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح
الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو
مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع فى اصله لنداء البعيد
صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل فى مناداة من سهى وغفل وان قرب تنزيلا
منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنيّ به جدا فان قلت
فما بال الداعي يقول فى جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه
واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما للنفس واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله
مع فرط التهالك على الاستجابة لدعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي
وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه
اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته
كقولك يا زيد الظريف الا ان اياً لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدرج من الابهام
الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفايدتين معاضدة حرف النداء
ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم كثر فى كلام الله تعالى النداء على هذه
الطريقة ما لم يكثر فى غيره قلت لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله تعالى له عباده
من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به
كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت
الحال ان ينادوا بالاكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار
مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل فلو
انى فعلت كنت كمن تسأله وهو قايم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله تع ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة
المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على
المامور بالصلوة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل
الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت
قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة ليس شيئا اخر فان قلت ربكم ما المراد
به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله تع وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم من يشترك فيه رب
السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا
فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة

خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابو السميقع وخلق من قبلكم وفي قراة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراة مشكلة
ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم التاني
بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق تقول لعل زيدا
يكرمني ولعله يهينني وقال تع لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله تع والذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت
على سبيل الاطماع في مواضع من القران ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده
المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك
وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما
من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب
ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العزة والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون
التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تع يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم فان قلت فلعل التي
في الاية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله تع خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تع تقويهم
لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز
لا الحقيقة لان الله تع خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وهداهم النجدين
ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح امرهم وهم مختارون بين
الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما
يبلو ويختبر من يخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون
فكذلك خلق الذين من قبلهم فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست التقوى
غير العبادة حتى يودي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم
للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان اشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما
ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرايط الكتب لم يقع في نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات
حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم
خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي
كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها
عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني ادم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى
النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم
وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء

بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون

والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء
وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم
يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة
وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش
غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض
فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب
اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء
وانما خرجت بقدرته ومشيته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر
على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشا نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها
من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها للملائكة والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا
وافكارا صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم قدرته وغرايب حكمته ليس ذلك في انشايها من غير تدريج وترتيب ومن في
من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد
قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو
المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج المطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك
انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا
لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة
الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق
والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقايها في الجمعية كقوله تعالى كم تركوا من جنات وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول
قراة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل
رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة
واساسها التوحيد وان لا يجعل لله تعالى ند ولا شريك وبلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل
لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند
المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته
ونافرته من ند ندود اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه
ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله تعالى وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة
اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ
الند شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق

دين قومه اربا واحدا ام الف ربّ ادين اذا تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى
وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق الامور وغوامض
الاحوال والاصابة فى التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش
وكنانة لا يصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم
والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العرّافون المميزون ثم ان ما انتم عليه فى امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل
ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون
انها لا تفعل مثل افعاله تعالى كقوله تع هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها
ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطرايق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرّفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم
عليه من معرفته وتمييزه وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ عطف على ذلك ما هو الحجة
على اثبات نبوة محمد عم وما يدحض الشبهة فى كون القران معجزة واراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله تعالى كما يدّعي
ام من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسهم واهل جلدته فان قلت لم قيل
مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم
كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وايات غبّ ايات
على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نري عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا
فشيئا حسب ما يعنّ لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه
او رسالته ضربة فلو انزله الله تع لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تع وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة
واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه
سورة من اصغر السور او ايات شتى متفرقات مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقري على عبادنا يريد رسول
الله وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التى اقلها ثلث ايات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة
وهي حايطها لانها طايفة من القران محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسوّر او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من
الفوايد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بسورة التى هي الرتبة قال النابغة ولرهط حرّاب وقدّ سورة من المجد
ليس غرابها بمطار لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا فى انفسها مترتبة طوال
واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها فى الدين وان جعلت واوه منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران
كالسورة التى هي البقية من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا قلت ليست الفايدة واحدة
ولامر ما انزل الله التورية والانجيل والزبور وساير ما اوحاه الى انبيايه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السور وبوّب
المصنفون فى كل فنّ كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوايده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف
كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ فى اخر
كان انشط له واهزّ لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله ان المسافر اذا علم انه
اذا قطع ميلا او طوي فرسخا او انتهي الي راس بريد نفس ذلك منه ونشّطه للسير ومن ثم جزّا القرّاء اسباعا واجزاء وعشورا

واخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله تع طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم
عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران جد فينا ومن ثم كانت
القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظايرُ وملاءمة بعضها البعض وبذلك
تتلاحظ المعاني فيتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد والمنافع ومن مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من مثله
والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله تع فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل
قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا
عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثري للحجاج وقد
قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد ان من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة
اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تع فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل
احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا
ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير الى
رسول الله صم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان
ياتوا بطايفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم لياتِ واحد اخر بنحو ما اتى به واحد
منهم هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملايم لقوله وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها
لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها فقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه
من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه
قول من قال لعدوه وقد راءه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي
حكم الى حكم قال الله تع لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اي لا يتجاوز ولاية المومنين الى ولاية الكافرين
وقال امية يا نفس مالك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله ولم تناليها لم يقك ومن دون الله متعلق بادعوا او
بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على
الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله تع من قول الاعشى يصف زجاجة تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك
القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز
لفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المومنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله
وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة و
المناقلة تابي عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة
المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جاين وان علقته بالدعاء فمعناه وادعوا من دون الله شهداءكم
يعني لا تستشهدوا بالله تع ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء

من الناس الذين شهادتهم بينة مصححة بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد
بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط المقدرة وعن
بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني ان الله تع شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا
كل من يشهد لكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تع لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهداءكم فهو في معنى
قوله تع قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ۝ لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلعم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه
من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا
وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب
لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما
ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم
واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق
عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فايدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال
يقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفايدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكني
عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فيقول له
بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال
فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية
فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك
لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه
اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد
نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع
ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لاسيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه
فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فيكون معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من
مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا
العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا
النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتايجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره
ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر
السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفايدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد
بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر

فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى ابن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليس حيوة الا به فكان نفس السليط حيوته فان قلت صلة الذي والتي تجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلعم او سمعوا قبل هذه الاية قوله تع في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وهاهنا معرفة قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما احرقت وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكاها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تع قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل اعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة من عادته عز وجل في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة مع الانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وحموها عن الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلعم وان يكون كل واحد كما قال علم بشر المشائين في ظلم الليالي الى المساجد بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل واحد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يوذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت

ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين
فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما يقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمروا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول
هو معطوف على قوله فاتقوا كما يقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي
رضي الله عنهما وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلما اذا قال لعبيده
ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني
عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوءه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في
الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزايد في غيظ المستهزأ به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه
قوله فاعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ال لام بظهر الغيب
تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس
داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه
الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية
في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة
من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر كانها لتكاثفها وتظليلها سميت
بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيه من الجنان فان قلت
الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى ادم وحوا عليهما السلام الجنة وبمجيئها في القران على
نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم الدار
كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على قدر استحقاق العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط
في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكباير وان لا يندم على ما اوجده من فعل
الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في
العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده
احسانا واعلم بقوله لنبيه عليه السلام وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري
الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه
البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى
وان الجنان والرياض وان كانت انق شي واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها
الماء والا كان الانس الاعظم فايتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما جاء الله تعالى بذكر
الجنان مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على ساير نعوتها
والنهر المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر يقال البردى نهر دمشق والنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب

على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم
نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكرنا واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما يقول لفلان بستان فيه
الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام
من تعريف الاضافة كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله تع فيها انهار من ماء غير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله تع كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة
مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر
لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله
تعالى فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان
كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية
كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني
فلان فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتديا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا
بالابتداء من ضمير الجنات مبتدا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع
من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان
يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم
في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله تع واتوا به متشابها وهذا
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله تع واتوا به قلت الى المرزوق
في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على
التوحيد فان قلت لاي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف
انس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه
الف وراى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه
وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك
فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما
راوا ظل الشجرة في الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة تسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين
للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما
وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها
الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا

ويجوز ان يرجع الضمير في أتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا
في نفسه كما يحكى عن الحسن يوتى احدهم بالصحفة فياكل منها ثم يوتى بالاخرى فيقول هذا الذي اوتينا به من قبل فيقول الملك كل
فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة
الى فيه حتى يبدل الله تع مكانها اخرى مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف
موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه
قوله تع وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون في ما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير
الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا
ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن وما ياخذنه من اعراق
السوء والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن ساير عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة
مجموعة كما جاء الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه
بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي
مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة
فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل
المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدايم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تع
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افاين مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان
في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا سيقت
هذه الاية لبيان ان استنكره الجهلة والسفهاء او اهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا
بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب
وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة
في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق
لما كان واضحا جليا ابلج كيف يمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف يمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة
التي جعلها الكفار اندادا لله سبحانه وتع لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن و
جعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من
تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سايق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان
ان المومنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا
التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على
عقولهم وغصبهم على بصايرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف
والعادة لا تخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة

هدي المومنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب كيف انكروا ذلك ومازال الناس يضربون الامثال بالبهايم و
الطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها
باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس
وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة
وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثل بهذه الاشياء وباحقر منها لا يعي استقامته وصحته على من به ادني
مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن
اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد سوي ذلك معولا وعن الحسن وقتادة
رحمهما الله لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه فضرب به للمشركين المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله
فانزل الله تع هذه الاية والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل
كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص
الحيوة كما يقال فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد على مكانه خجلا
فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان رض قال قال رسول الله
صلعم ان الله تعالى حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطايه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله تعالى ان الله
لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا
اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب وهو فن من كلامهم بديع
وطراز عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة
فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة و
لولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها
لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه اذا ما استحيين الماء
يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي
بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي
الحديث اضطرب رسول الله صلعم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا
وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله تع فيما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان
يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر
الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا في تمثل الله
لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان
لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء
الذي لا يتجزء وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد

ولقد الم به قوله تع ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم
المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة
بانها عطف بيان لمثلا ومفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين بجري ضرب مجرى جعل والشتقاق البعوضة
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض انشد لنعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض
الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد
عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ
واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب
والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك قد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فيقال فلان بخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي
ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه من
الاحتمالين ما سمعناه في حديث مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شاب من قريش على عايشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون
فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلعم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهو نحو نخبة النملة
في قوله علم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النمل وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على
طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها
واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلعم مثلا للدنيا وفي خلق الله تع حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب
العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت
مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه
ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم يا من يرى مد
البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل اغفر لعبد تاب من فرطاته
ما كان منه في الزمان الاول واما حرف فيه معنى الشرط وكذلك يجاب بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد
ذاهب فاذا قصدت توكيد ذاك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه
في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفايدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين
به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين واعتداد لعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين
اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة
ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع
ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتدا وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب
المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال
وقد جوزوا عكس ذلك كما يقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خير اي رايت خيرا وقرى
قوله تع ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء

اذا طبتہ نفسك ومال اليہ قلبك وفى حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحى حالا لاجلها يقع منہ الفعل على وجہ دون وجہ وقد
اختلفوا فى ارادة الله تع فبعضهم على ان للبارى مثل صفة المريد منا التى هى القصد وهو امر زايد على كونہ عالما غير ساہ وبعضهم
على ان معنى ارادتہ لافعالہ هو انہ فعلها وهو غير ساہ ولا مكرہ ومعنى ارادتہ لافعال غيرہ انہ امر بها والضمير فى انہ الحق للمثل او لان
يضرب وفى قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عايشة رضى الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن
عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا
او على الحال كقولہ تع هذہ ناقة الله لكم اية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانہ الحق وفريق الجاهلين المستهزئين بہ كلاهما موصوف
بالكثرة وان العلم بكونہ حقا من باب الهدى الذى ازداد بہ المومنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى
ازدادت الجهلة خبطا فى ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس
كابل ماية لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقلہ قلت اهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها
بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا شعر
ان الكرام كثير فى البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانہ لما ضرب بہ المثل
فضل بہ قوم واهتدى قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك ابن دينار رحمہ الله انہ دخل على محبوس قد اخذ بمال عليہ وقيد
فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيہ من القيود فرفع مالك راسہ فراى سلة فقال لمن هذہ السلة فقال لى فامر بها تنزل فاذا
دجاج واخبصة فقال مالك هذہ وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن على يضل بہ كثير وكذلك وما يضل بہ الا الفاسقون
والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوايرا والفاسق فى الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة
وهو النازل بين المنزلتين اى بين منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول من حد لہ هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضى الله
عنہ وكونہ بين بين ان حكمہ حكم المومن فى انہ يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليہ ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذم
واللعن والبراءة منہ واعتقاد عداوتہ وان لا تقبل لہ شهادة ومذهب مالك ابن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزى خلفہ ويقال
للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان
المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض فى ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم
العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيہ من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنہ قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله ان
بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى ان الله تعالى اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها
ان يسكتوا عن ذكر الشىء المستعار ثم يرمزوا اليہ بذكر شىء من روادفہ فينبهوا بتلك الرمزة على مكانہ ونحوہ قولك شجاع يفترس اقرانہ
وعالم يغترف منہ واذا تزوجت امراة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها
فراش والعهد الموثق وعهد اليہ فى كذا اذا وصاہ بہ ووثقہ عليہ واستعهد منہ اذا اشترط عليہ واستوثق منہ والمراد بهولاء الناقضين
لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما ركز فى عقولهم من الحجة على
التوحيد كانہ امر وصاهم بہ ووثقہ عليهم وهو معنى قولہ واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم

اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله تع واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الايات وما انعمت
عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاقي واوفوا بعهدي ونصري
اياهم وكيف انزل باسي ونقمتي بالذين غدروا ونقضوا ميثاقي ولم يوفوا بعهدي لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى
الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على
بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله تع الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية ادم الاقرار بربوبيته
وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تع واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص العلماء وهو قوله تع واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله تع من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان
الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تع اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق
به عهده من اياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم
ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن
هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به فقيل له امر
تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون
لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا
فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم
ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك
اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في
صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان
باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة
لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات
الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم
ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني
والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر
قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه
وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه
فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها فان قلت
فقد ال المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار

وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم
كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلايل الموصولة اليه فكان ذلك
بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا و
انما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة من البنى قلت بل يقال لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان
يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر
وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحيا
الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور
تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين
انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت
يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده ايات من اعظم النعم هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظ واما الانتفاع
الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها
لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة
والمشقة وانواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان
الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع
بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر
السماء وتراد به الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء
الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان
يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك
خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم
ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السما والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن
وتقويمه واخلاؤه من العوج او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض
على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة
قلت ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين امنوا
على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف
القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء
واما دحوها فمتاخر وعن الحسن رحمه الله خلق الله تع الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله تع كانتا رتقا وهو الالتزاق وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ واذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملايكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل في
جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتداء والخبر وهما قولك في الارض خليفة
فكانا مفعوليه ومعناه مصيّر في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها
ادم وذريته فان قلت فهلا قيل خلايف او خلفاء قلت اريد بالخليفة ادم عم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر اب
القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحّد لذلك وقري خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة
منى لان ادم كان خليفة الله تعالى في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لأي غرض اخبرهم بذلك
قلت ليسالوا ذلك السوال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم
وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدم عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا
عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت
من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب قلت عرفوه باخبار الله تع او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملايكة وحدهم هم الخلق
المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملايكة
وقري ويسفك بضم الفاء ويُسفِك ويُسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما يقول المحسن الى فلان وانا احوج منه بالاحسان
والتسبيح تبعيد الله تع من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع
الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم
من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله تعالى كلها حسنة وحكمة
وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه تع قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله تع وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ واشتقاقهم ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من
العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ
واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد
له من مسمى وعوّض منه اللام كقوله تع واشتعل الراس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله تع انبئوني باسماء هؤلاء
انبئهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى
تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما
استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين
سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوايد العلمية التي هي اصول الفوايد كلها ما يستاهلون لاجله ان
يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله تع اني اعلم ما لا تعلمون وقوله تع الم

اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالى جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ
وعلم ادم على البناء للمفعول وقرا عبد الله عرضهن وقرا ابي رضي الله عنه عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في
الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝ السجود لله تع على سبيل العبادة ولغيره على سبيل التكرمة كما سجدت الملائكة لادم عليه السلام
وابو يوسف واخوته عليهم له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه وقرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز
استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف
من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر
عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله تع كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها
نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان
المبهم اي اي مكان من الجنة شيتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل
ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفايتة للحصر وكانت
الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي
عمرو انه كرههما وقال نقرا بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله تع فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب
جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله تع
وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما يقول زل عن رتبته وزل
عني ذلك اذا ذهب عنك وزل عن الشمس كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرا
عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما
ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان
يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لادم وحواء عليهما وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب وروي انه اراد الدخول
فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لادم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه
لادم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الجنس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله تعالى قال اهبطا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل عليه قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي
وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى
يوم القيمة وقيل الى الموت فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا
جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ

بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ماهن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن
ابن مسعود رض ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يارب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب
الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يارب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يارب الم تسكني جنتك قال بلى قال يارب
ان تبت واصلحت راجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء
في اكثر القران والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله تع ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر
قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله تع فاما ياتينكم مني هدى فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني
مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم
بدليل قوله تع والذين كفروا وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله تع فمن تبع هداي فان قلت فلم جي بكلمة الشك واتيان الهدى كائن
لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب انه ان لم يبعث رسولا ولم
ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان
قلت الخطيئة التي اهبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها
من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم
العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم
الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة
هذيل فلا خوف بالفتح يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ
وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ اسرائيل هو يعقوب علم لقبه ومعناه في لسانهم صفوة الله تع وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسمعيل
غير منصرف لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرايل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا
مانحها واراد بها ما انعم به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة
عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد
والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه قوله تع ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه
ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله تع ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم
من عاهد والله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ
في الوفاء بعهدكم كقوله تع من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله تع واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه
من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله تع وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ
وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ اول كافر
به اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه

كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به
وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله تع لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله تع وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا
مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال
كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا فانى شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا
فالثمن هو المشتري به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلعم فاستبدلوها
وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال الحقير القليل وقيل كانت
عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما
صعب عليهم من الشرايع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك
لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز
بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا
لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم
الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد علم او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوا على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله
ويكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه
وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين
منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله تع ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر
عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون
الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت
وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد علم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
واذا اتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا
لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله تع وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد علم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر
ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه فكانكم
في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوايجكم

الى الله تعالى بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ
النيات ودفع الوساوس ومراعات الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار
السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تع وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او استعينوا على البلايا والنوايب
بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله صلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس عنهما انه نعي اليه
اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا
بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان
يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى في دفعه وانما الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون
لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله تعالي اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الى واستعينوا الكبيرة لشاقة ثقيلة من
قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما بالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم
يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله تع الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء
ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله رض يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك
ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين
والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد ببعض الاعمال والصنايع اجرة زايدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح
صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخر ببعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلم وجعلت قرة
عيني في الصلوة وكان يقول روحنا يا بلال والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع
فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله تعالي باركنا فيها
للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد به الكثرة وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝ يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في
جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزى عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله
تعالى ولا يظلمون شيئا ومن قرا لا تُجزِي من اجزا عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو
السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العايد منها الى الموصوف قلت
هو محذوف تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشد ترو حي اجدر ان تقيلي اي ماء اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول
اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس
لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها عدل
اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يَقبل منها شفاعةً
على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان
قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفي ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك
ثم نفي ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت الى

الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل
منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم يقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها
لم يوخذ منها ولا هم ينصرون يعني مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما يقول
ثلثة انفس وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ
وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ واصل
آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام
وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم
قد جاء الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقري انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو
بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب
ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله
سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره ويذبحون بيان قوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تع يضاهون قول
الذين كفروا وقراي الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتّلون وانما فعلوا ذلك
بهم لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ
وكان ماشاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض
حتى صارت فيه مسالك لكم وقري فرّقنا بمعنى فصّلنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك
كانت اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما
فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى
فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين
اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه
ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه ولا
تشكون فيه وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ
ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ
ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله تع موسى عم
ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقري
واعدنا موسى لان الله تعالى وعده الوحي ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة
في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التورية كقولك
رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تع ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء

وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد
وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه
كقوله تع يوم الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل
امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان رجلا كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل
الله تع ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذوا الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم
وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون امين فقتلوهم الى المساء حتى دعا
موسى وهارون فقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم
وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب
لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تع جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم
فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم
فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله تع لهم على طريقة الالتفات
فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ
هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة
فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة
البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله تع ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم و
ينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين
صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ
تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي
يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس
او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى علم رادهم
القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض
فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية
بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت
من السماء وقيل ارسل الله تع جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا لكن غشية بدليل
قوله تع فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله تع وانتم تنظرون وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ
وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَإِذْ قُلْنَا
ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلكم في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود

من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن والسلوى وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع
الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا يعني
فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا
بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا
محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل
والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان
قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان ينصب باضمار فعلها وينتصب محل
ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كان تلك الكلمة سببا في
زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
رِجْزًا بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس
معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل
بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة
حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله تعالى الى طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا
عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا
وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك
الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقيل له حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه
ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه
ادم عليه السلم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه
بالادرة ففر به قال له جبرئيل عليه السلم يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب
الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه قيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وذراعا
في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل كان من اس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى عليه السلم وله شعبتان تتقدان في الظلمة
وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت منه او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في فتاب
عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم

التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مع مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوي ومن ماء العيون وقيل الماء
ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا
متمادين فيه وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا
فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد
واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوي فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا
يختلف ولا يتبدل ولو كان على مايدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا
يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن
قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا
يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها وقري وقثايها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراة ابن مسعود وثومها
وهو بالعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار
فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة
والعلو وقرا زهير الفرقبي ادناه بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا وقري اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل
ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف
وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا مصر بغير
تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما
يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحايط فيلزمه فاليهود صاغرون
اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان يضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى
ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنهم الله شعيا
وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فايدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق
عندهم لانهم عليهم السلام لا يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سيلوا
وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي رض ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما
عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدايهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو

اعتداوهم فى السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا
فيها وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم
من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود اذا دخل فى اليهودية وهو هائد
والجمع هود والنصارى وهم جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال كما سجدت نصرانة لم تحنف والياء فى نصرانى للمبالغة
كالتى فى احمرى سموا لانهم نصروا المسيح عليه السلام والصابيين وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية
والنصرانية وعبدوا الملائكة من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم
الذى يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا
من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان فى الوجه الاول الجملة كما هى وفى الثانى فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ
وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّوْرَ خُذُوْا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوْا مَا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ
فَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ
كُوْنُوْا قِرَدَةً خَاسِئِيْنَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِيْنَ ۝ واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل
على ما فى التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من
الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى
ان قبلتم والا القى عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما
فى الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا
ثم توليتم ثم اعرضتم من الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرى خذوا ما اتيتكم وتذكروا واذكروا
السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اى جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه
واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت فى البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تع اذ تاتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم قردة خاسئين خبران اى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو
الصغار والطرد فجعلناها يعنى المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها
وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين او اريد بما
بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تاخر منها
وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ اِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ اَنْ
تَذْبَحُوْا بَقَرَةً قَالُوْا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ
لَنَا مَا هِيَ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ ۝ كان
فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة
ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزء او مهزوءا بنا او اهل هزؤ او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
من نحو كفوا او كفؤا وقرا حفص هزوا الجاهلين لان الهزء فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرى بضمتين وهزوا بسكون الزاء

نحو كفوًا كفؤًا وقرا حفص هزوًا بضمتين والواو وكذلك كفوًا والعياذ والليا‌ذ من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالتها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقرة والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مونثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نايبا عن افعال جمة تذكر قبله يقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لروبة في قولك له فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذاك وتلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تومرون اي ما تومرونه بمعنى تومرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مامورکم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝ الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك ابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع تاكيد الصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع تاكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فايدة في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس تخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رض من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري رحمه الله صفراء فاقع لونها سوداء شديد السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة ثانية تكرير للسوال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي علم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسالته ان البقرة تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ

الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ۝ لا ذلول
صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي
والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي الحرث على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلولها ان يوصف به فيقال هي ذلول ونحوه
قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او معفاة
من العمل سلمها اهلها منه كقوله او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا
خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي القوائم الان جئت بالحق اي بحقيقة وصف
البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله تعالى وما كادوا يفعلون
استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم
وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي
انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت
وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا
طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل
جائز على ان الخطاب لابهام كان متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص
لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّٰارَاْتُمْ فِيهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ
تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ واذ قتلتم نفسا خوطبت
الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم
بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى
ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
وفقلنا اضربوه والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما للقتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون
ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فاضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي
انهم لما ضربوه قام باذن الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل
بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم
اياته ودلايله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء
الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلعم فان قلت هلا احياه

ابتداء، ولم شرط في احيايه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من
التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم
وللاخرين في ترك التشديد والمسارعة الى اوامر الله تع وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سوال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة
والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء
وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من
العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رض ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ والنسخ
قبل الفعل جاين وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادايه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت وحصول الحيوة عقيبه ان الموثر
هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فللقصة لم تقص على ترتيبها وكان
حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرايل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد
فيهم من الايات العظام وهاتان القصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى
لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الاية العظيمة
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد
روعيت نكتة بعد ما استونفت استيناف قصة براسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في
قوله تع اضربوه ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها
وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ
مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ۝ ثم قست قلوبكم استبعاد للقسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة
القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا توثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم
من الايات المعدودة فهي كالحجارة في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها او اشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل
اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها
اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال
هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل
على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم
اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله تع وان من الحجارة بيان لفضل
قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من المثقلة التي تلزمها
اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه
قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض
فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى وانها لا تمتنع

على ما بين فيها وقلوب هولاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقري يعملون باليا والتاء وهو وعيد أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا
لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا
قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝
أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝
افتطمعون الخطاب لرسول الله صلم والمومنين ان يومنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى
فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة ممن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله صلم واية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله به حين كلم موسى بالطور
وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا فلا باس
وقري كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون
والمعنى ان كفر هولاء فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود قال منافقوهم امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به
وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ما بين لكم في التورية
من صفة محمد عليه السلام او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيا في كتابهم
فينافقون المومنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو
في كتابكم هذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله تعالى هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما
يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها لا يعلمون
الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم ان الله تعالى يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباهم الانبياء
يشفعون لهم وبمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها
على التقليد قال اعرابي لابن داب في شي حدث به اهذا شي رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرون من قوله تمنى كتاب
الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري يقدر ان كلمة
كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقري اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان
ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد و
الظن وهو متمكن من العلم فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا
بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ۝ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ
بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ فويل للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه
يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشا اياما معدودات اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله
عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كاين على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان يكون منقطعة بلى

اثبات لما نفوه لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من
السيات يعني كبيرة من الكباير واحاطت به خطيئته تملكه واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتقصّ عنها بالتوبة وقرئ خطاياه
وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة
انظر في المصحف فكل اية نهى فيها الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا
تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراة عبد الله وابيّ لا تعبدوا
ولا بدّ من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله تع وقولوا وقوله بالوالدين احسانا اما ان يقدّر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا
وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه
ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان
لا تعبدوا ان يكون ان فيه مفسرة وان يكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا بني اسرائيل توحيدهم وقرئ
بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى
ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم
قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل
نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم
بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على
اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم
بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى
ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اوليك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تع تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ
تظّاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتهما وتظّهّرون بمعنى تتظهّرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم
وتفادوهم واسرى واساري وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء
وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء واحد وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق
يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسري رجل من الفريقين جمعوا الحق يفدوه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا

والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد
وقري يردون ويعملون بالياء والتاء ولا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك
عذاب الاخرة ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ۝ وقالوا
قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ۝ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ۝ الكتاب التورية آتاه
اياها جملة واحدة ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا عليكم على اثره الكثير
من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل و
الياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول روبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في
الابنية كما ثبتت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وقري وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بروح المقدسة
كما يقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب
ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى
بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم افكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين الفاء
وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبختهم على ذلك ودخول
الفاء لعطفه على المقدر فان قلت فهلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره
في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم
له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادني فهذا اوان قطعت ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة
باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد
الله تعالى ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم
الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمومنين فقليلا
ما يومنون فايمانا قليلا يومنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف بمعنى
غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله
هو القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقري مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة
تخصصت فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه
ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التورية والانجيل ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح

عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا
فيه دخولا اوليا بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا
واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله
من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا
بنبي الرحمة وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك
من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه
اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا
كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل
الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى
وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التورية
قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع
تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب
الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تع انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يامركم به ايمانكم
بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تامرك وكذلك
اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ خالصة نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم وليس لاحد سواكم
فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي
كان علي رضه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه
سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اراد بالحبيب الموت اي قد جاء في وقت
الحاجة على التمني لا يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة رضوان الله
عليهم يحب الموت ويحن اليه وعن النبي عم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت

ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد عليه السلام وما جاء به وتحريف كتاب الله وساير انواع الكفر والعصيان وقوله تعالى
ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله تع ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لن يتمنوا قلت لانهم لو
تمنوا لنقل كما نقل ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس
منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو شي لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال
القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير و
القلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم
علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم اشياء قاولوا بها المسلمين من الافترا على الله تع وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير
مصدقين فيه وما لا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد
فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع
احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ
النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ۝ ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين
في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم واحرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي
الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراة بها اوقع من قراة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس
احرص من الناس فان قلت الم تدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى لكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يومنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة
الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد
حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صايرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين
اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنه هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل
من الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا
مشار الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره
وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويكون ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانجاء فان
قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هو
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جري على لفظ الغيبة لقوله تعالى يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل فقال ذاك عدونا و
لو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله
فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبرئيل وقال ان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه

وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رض ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدراس اليهود و
كان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا نطمع فيك فقال والله لا اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني
وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد علم واري اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تع قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل
عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر رض لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان
عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال النبي علم لقد وافقك ربك يا عمر قال
عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذاك اصلب من الحجر وجبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن
قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه
عبد الله والضمير في نزله للقران ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه
يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان
حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله تع كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبرئيل
فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا
وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقران ولموافقته
لكتابهم ولذلك يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما
من جنس اخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقري ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل
وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكئل كميكعل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين
اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا
فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن
الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول
الله صلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل
الكتاب أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ اوكلما الواو
للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو سمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا
فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله تع مرارا كثيرة وقري عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر
ونقض العهود وكم اخذ الله تع الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله علم فلم يفوا الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال تع فريق منهم لان منهم من
لم ينقض بل اكثرهم لا يومنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني
التورية لانهم بكفرهم برسول الله صلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم

تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه وراء
ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه و
لكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وَاتَّبَعُوا مَا
تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ
بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ
عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ واتبعوا اي نبذوا كتاب
الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك
ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب
يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان
وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر الجن والانس والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت
به سليمان علم من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر
يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو
اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس
ومن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لئلا يعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر لا للشر
لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان
المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار
من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما
يحدث الله تعالى عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه ربما احدث الله تعالى عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون
به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل
ما تتلو الشياطين على كتاب الله تعالى ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون
وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرئ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما
هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا
وقرئ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف
فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد
علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله تعالى لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به

كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ۝ يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ۝ ولو انهم امنوا برسول الله صلعم و القران واتقوا الله بع فتركوا
ماهم عليه من نبذ كتاب الله واتباع الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقري لمثوبة كمتشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله
خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك
من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير
قلت لان المعنى لشي من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله بع ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله تعالى
ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدي لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله صلعم اذا القى
عليهم شيا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها
عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المومنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي
المومنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا
عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا
قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا
سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسايل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا اسماع قبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم
عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لين
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلعم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا
برسول الله صلعم وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من
خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ۝ ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها
او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ۝ الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير ۝ ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل من الاولى للبيان لان الذين
كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله بع لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله بع اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم
فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شي من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله بع ان فضله كان عليك كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر
اصحابه ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقري ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم النون من انسخ
او ننساها وقري ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول علم وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا
حذيفة ما ننسخ من اية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبرئيل علم بان يجعلها
يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل
اية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها للعباد

اي باية العمل بها اكثر للثواب اومثلها في ذلك على كل شي قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والارض
فهو يملك اموركم ويديرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ او منسوخ لما بين انه مالك امورهم و
مدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة فيما هو اصلح لهم مما
يتعبدهم به وينزله عليهم ان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه اباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم
اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ
تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ
أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالايات المنزلة وشك فيها
واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص ابن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة ابن اليمان وعمار بن
ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا
فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة
قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم
قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بودّ على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من
قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا
اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى
ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام
منهم من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل
عامل الضمير في قالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصاري والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصاري
لن يدخل الجنة الا من كان نصاري فلفّ بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصاري والهود جمع هايد كعايذ وعوذ وبازل
وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو
صالوا الجحيم فان له نار جهنم خالدين فيها وقراء ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم
لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وامنيتهم ان
يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة
الا من كان هودا وتلك امانيهم اعتراض واريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد امانيهم
جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت
بمنزلة هاء في معنى احضر بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه
قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدا فيكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا
لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء يصح ويعتد به هذه مبالغة
عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم
اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من
حمل التورية والانجيل او غيرهما من كتب الله وامن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين شاهد بصحته وكذلك كتب الله
جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا
كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم
في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلعم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت
اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى عم والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى عم والتورية فالله يحكم
بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن رحمه الله حكم الله بينهم ان يكذبهم
ويدخلهم النار وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ
يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۝ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته
كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها
كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله تع وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت
المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين
رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو
بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن اذى
الصالحين وكما قال عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او تخريب البنيان وينبغي
ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصارى او المشركين اولئك المانعون ما
كان لهم ان يدخلوها اي ما كان لهم ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين
ان يبطشوا بهم فضلا من ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم
وقيل ما كان لهم في حكم الله تع يعني ان الله تعالى قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين وروي
انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ
اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلعم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا
خُيَّفًا وهو مثل صُيَّم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق بين المسجد الحرام
وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تع وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل

وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مداينهم قسطنطينية ورومية وعمورية وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ
وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ
قَانِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله تع هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي اي مكان
فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تع فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه
الله اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد
ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة
المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم فعذروا وقيل
معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة
وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملايكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد
بل له ما في السموات والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملايكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء
منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل
عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون
مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليه فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان
ما سخركن وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء فهو بديع
كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع
بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثمة كما لا قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه
من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما المامور المطيع الذي يومر فيمتثل
لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرا المنصور بالنصب على المدح وقال
الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
كما يكلم الملايكة وكلم موسى علم استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها
تشابهت قلوبهم اي قلوب هولاء ومن قبلهم في العمى كقوله تع اتواصوا به قد بينا الايات لقوم ينصفون فيوقنون انها ايات
يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ
الْجَحِيمِ ۝ انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره
لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا نسالك عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله تع فانما

عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولاتسال على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السوال عن احوال الكفرة
و الاهتمام باعداء الله تع وقيل معناه تعظم ماوقع فيه الكفار من العذاب كما يقول كيف فلان سايلا عن الواقع في بلية فيقال لك
لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ماهو فيه لفظاعته فلا تساله ولا تكلفه مايضجره او انت يامستخبر لا تقدر
على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل ويعضد القراة الاولى قراة عبدالله ولن تُسألَ وقراة ابيّ وماتُسألُ وَلَنْ تَرْضَىٰ
عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا
اقناطا منهم لرسول الله صلعم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله تع كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم
عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما
تدعون الى اتباعه ماهو بهدى انما هو هوى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك
من العلم اي الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝ الذين اتيناهم الكتاب
مومنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ولا يحرفونه ولا يغيرون مافيه من نعت رسول الله صلعم اولئك يومنون بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝ ابتلى ابراهيم ربه اختبره باوامر ونواه واختبار
الله تع عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين مايريد الله ومايشتهيه العبد كانه يمتحنه مايكون منه حتى يجازيه على حسب
ذلك وقرا ابوحنيفة رحمه الله وهي قراة ابن عباس رضي الله عنهما ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من
الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت الفاعل في القراة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر
قلت الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربُه ابراهيمَ فاما ابتلى ابراهيمَ ربُه او ابتلى ربَه ابراهيمُ فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر
اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربُه ابراهيمَ فان
الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام واداهن
احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفّى وفي الاخرى لله تع بمعنى فاعطاه ماطلبه لم ينقص منه شيئا
ويعضده ماروي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيمُ ربَه في قوله رب اجعل هذا البلد امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث
فيهم رسولا ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه كان كيت وكيت واما قال اني
جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك
للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ماقبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ماذكره من الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب
والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه
من شرايع الاسلام بثلثين سهما عشر في براة التايبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المومنون

وسال سايل الى قوله ع والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل مناسك الحج والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل
ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يوتم به على زنة الالة كالازار لما يوتزر به اي
ياتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك ساكرمك فتقول وزيدا لاينال
عهدي الظالمين وقري الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لاينال استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من
كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لايصلح للامامة وكيف يصلح لها من لايجوز حكمه وشهادته ولا
تجب طاعته ولا يقبل خبره ولايقدم للصلوة وكان ابوحنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد ابن علي رض وحمل المال اليه
والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع
ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد
وارادوني على عد اجره لما فعلت وعن ابي عيينة لايكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما
هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل الساير من استرعى الذيب ظلم وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمَعِيلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون
اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا موضع امن كقوله ع حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني
ياوي اليه فلايتعرض له حتى يخرج وقري مثابات لانه مثابة لكل من الناس لايختص به احد سواء العاكف فيه والبادي واتخذوا
على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي عم
انه اخذ بيد عمر رض فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نوثره لفضله بالصلوة فيه تبركا وتيمنا بموطي قدم
ابراهيم فقال عم لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلعم استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط
ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومقام ابراهيم الحجر
الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رض انه سال
المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابراهيم وقري واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا
اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان
طهرا بيتي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه عن الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبايث كلها او اخلصاه
لهولاء لايغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين
الواقفين يعني القايمين في الصلوة كما قال الله تعالى للطايفين والقايمين والركع السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود من هيات المصلي وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا اٰمِنًا وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ اي اجعل هذا البلد
او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله ع عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نايم ومن امن منهم بدل من اهله يعني وارزق
المومنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم عم المومنين

حتى ردّ عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرّف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى وابعد الناس عن النصيحة

الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فأُمْتِعُهُ

فاضطره فالزّه الى عذاب النار لن المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر وقراء ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقراء يحيى بن وثاب

فإضطره بكسر الهمزة وقراء ابن عباس رضي الله عنه فأَمْتِعه قليلا ثُمَّ اضْطَرَّه على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم عليه دعا ربه بذلك

فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراة قلت في قال ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسالته اختصاص المومنين بالرزق ومن

كفر فأمتعه قليلا ثم اضطرَّه وقراء ابن محيصن فاطَّرَّه بادغام الضاد في الطاء كما قال اطَّجَعَ وهي لغة مرذولة لان الصاد من الحروف

الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضمّ شُفُرٌ وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ ۝ يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي

صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها

انقلب عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة

الذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالسافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي

استوطاء يعني جعل هيئة القاعدة المستوطية مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان موسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروي ان

الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف

حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملايكة فقالوا بُرَّ حجُّك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك الفي عام وحج

ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان ذلك الى ان رفعه الله به ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور

ثم ان الله به امر ابراهيم ببنايه وعرفه جبريل مكانه قيل بعث الله سبحانه وتعالى سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا

تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل

تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحُيَّضُ في الجاهلية اسودّ وقيل

كان ابراهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراته

ومعناه يرفعانها قايلين ربنا انك انت السميع لدعاينا العليم بضماير نا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين

العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبيّن

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ

الرَّحِيْمُ ۝ مسلمين مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلّم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى

زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ مسلِمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا

واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء

قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى

ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد امة محمد عليه وارنا منقول من رأى

اذا ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصّرنا متعبّداتنا في الحج او وعرّفناها وقيل مذابحنا وقرئ وأرْنا بسكون الراء قياسا

على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرئ ابو عمرو باشمام الكسرة

وقراء عبدالله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتبنا لذريتنا رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه
قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله تعالى فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى عليه ورويا
امي يتلو عليهم اياتك يقراء عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلايل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة الشريعة
وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وساير الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ
إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ومن يرغب انكار واستبعاد لان
يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابراهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان
من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر
ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه بحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شهيدا له بما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في ازالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس
عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله تعالى في الدارين بان كان صفوته
وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة في الخير في الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله
كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلايل المودية
الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبدالله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث في ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد
اهتدى به ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ
يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام
والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين لانه على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء
مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى
ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ يعقوب بالنصب عطفا على بنيه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني على اضمار القول
عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القايل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين اعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين
على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن
عن ترك الخشوع في الصلوة فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة
التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا
في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام

موت لاخير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لايحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك
الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة
بان يحث عليها أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ
وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝ ام كنتم شهداء هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة الانكار
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ احضره الموت لوحين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم
ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه
وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم
شهداء ولكن الوجه ان يكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر
يعقوب الموت يعني ان اوايلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم
تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضِر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق
بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون
سوال عن صفة المعبود كما يقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابراهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابايك
وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابايه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه
قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا يتفاوت بين صنوي النخلة وقال عليه السلام في العباس هذا بقية ابائي وقال عليه السلام
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابراهيم بطرح ابايك وقرئ
ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفدينا بالابينا
الها واحدا بدل من اله ابايك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابايك الها واحدا ونحن له مسلمون حال
من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية موكدة
اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب
غيره متقدما كان او متاخرا فكما اوليك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوايلهم
ونحوه قوله عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيآتهم
كما لا تنفعكم حسناتهم وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملة كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة
ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه
كقولك رايت وجه هند قايمة والحنيف المايل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال
وانشد ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا
منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝

لوا خطاب للمومنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان
ون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلم والاسباط حفدة يعقوب
راريه ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نكفر بعض لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك
م دخول بين عليه فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۝ بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد
ذن دين اخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض
التقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير
غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو ذلك قولك للرجل الذي تشير اليه هذا هو الصواب فان كان عندك راي اصوب منه
اعمل به وقد علمت انه لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة
يكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي امنتم بها وقراء ابن عباس
ابن مسعود رضي الله عنهما بما امنتم به وقراء ابي بالذي امنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق في مناواة
معاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار
سول الله صلم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع
عليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلم بمعنى يسمع ما تدعو
يعلم ما نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ
لَهُ عَابِدُونَ ۝ صبغة الله مصدر موكد منتصب من قوله تعالى امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهو فعلة من صبغ كالجلسة
ن جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمين بان يقولوا
قولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة
نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما يقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام
ن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون
طف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك
نظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر موكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا
فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ۝ اتحاجوننا بادغام النون والمعنى تجادلوننا في شان
واصطفائه النبي علم من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله تعالى على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة وهو ربنا وربكم نشترك
يعا في اننا عباده وهو ربنا هو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا
كرامة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة كما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن
ذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يوهل اهل اخلاصه
كرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة الاوثان أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝ ام يقولون يحتمل فيمن قراء بالتاء ان يكون ام معادلة للهمزة في
اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في حكم الله تعالى ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا
وان يكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفي من قراء بالياء لا يكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله
تعالى شهد لهم بملة الاسلام في قوله تعالى ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي
كتم شهادة الله تعالى عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم
كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى
لمحمد بالنبوة في كتبهم وساير شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة
من الله ورسوله تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ سيقول السفهاء الخفاف الاحلام
وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة ولانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن
قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه
اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد
لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها
يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك
استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ونحوه قوله علم وانطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط
الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة
ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت به الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتري بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاهنه
اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي ان
الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيوتى بامة محمد صلعم فيشهدون
فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلعم فيسال عن حال امته
فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا
وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون
الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات
شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة وانما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما

جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلعم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد
الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك
اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك
بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول
منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت
كيف قال تعالى لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلعم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل
معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم يقع به التمييز وان كانت لكبيرة
وهي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او
الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله
بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب
العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس من قبل
التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلعم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا
فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على
الذين هدى الله وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلعم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول
ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق
على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي لكبيرة
كقولك ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الروية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك
تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلعم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب
الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضيها تحبها
وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك
وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي علم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله علم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلوة
الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر
المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد

وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان
في بشارة انبيائهم برسول الله صلعم ان يصلي الى القبلتين يعلمون قرئ بالياء والتاء وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا
تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ
إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝ ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك
لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم
لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع
قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجي اتفاقهم كما لا يرجي موافقتهم
لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه
لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده
في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر
انك اذن لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى
وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين
باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ يعرفونه يعرفون رسول الله صلعم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني
قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام
يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او للقران او
تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف
وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وقال فريقا منهم استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومبتدا خبره من ربك وفيه وجهان
ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلعم او الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون
للجنس على معنى الحق من الله تعالى لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل
فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي على نصب الحق من ربك على الابدال من
الاول اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة
هو موليها هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو الله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة
الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي مولى تلك الجهة وقد وليها
والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد
ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا

للحرام من موافق ومخالف لا تجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت
اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل كانما الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاذي المسجد الحرام ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ۝ ومن حيث خرجت اي من اي بلد
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم
واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون ۝ وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة
وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر
فاختلف فوايدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القايلين ما ترك قبلتنا الى
الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت يكون المنصفين منهم لو لم يحول حتى
احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون ماله لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور في نعته في التورية فان قلت
كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونها سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم
التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منهما فلا تخشوهم فلا
تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي
النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو
معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ۝ كما ارسلنا فيكم اما ان يتعلق
بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ۝ فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت عليكم ولا تكفرون
لا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ۝ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ۝ اموات بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فتصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة
وعشيا فتصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة
فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف و
الجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ۝ الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون ۝ اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ۝ ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه
فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء قليل من كل واحد من هذه البلايا
وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي عم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلعم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء

يوذي المومن فهو له مصيبة وانما قلّل في قوله بشيء ليوذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جلّ ففوقه ما يقلّ اليه وليخفف عليهم
وليريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطّنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى
وشيء من نقص الاموال والخطاب في بشّر لرسول الله صلعم او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع
صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي علم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال
عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تع ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنوّ والتعطّف فوضعت موضع
الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واوليك هم المهتدون
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ
شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۝ الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمّان والمقطّم والشعاير جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبّداته
والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطّوّف يتطوّف
فادغم وقرئ ان يَطوفَ من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعاير الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة
نايلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله تع فكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح
في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله تع فلا جناح
عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير
وينصره قراة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رحمه الله انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء
عليه وعند مالك والشافعي ركن كقوله علم اسعوا فان الله تع كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطّوّع بمعنى يتطوع فادغم وفي قراة عبد الله ومن
يتطوع بخير إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ ان الذين يكتمون من احبار
اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد علم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيّنّاه
ولخّصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبّسوا على الناس
اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملايكة والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا
يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝ ان الذين كفروا يعني ان الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم
احياء ثم لعنتهم امواتا وقرا الحسن والملايكةُ والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقوله عجبت من ضرب زيد
وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اوليك عليهم ان لعنهم الله والملايكةُ فان قلت ما معنى قوله تع والناس اجمعين وفي الناس المسلم
والكافر قلت اراد بالناس من يعتدّ بلعنته وهم المومنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها
اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يوجّلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا يُنظر اليهم نظر الرحمة

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ اله واحد فرد فى الالهية لا شريك له فيها و لا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية
بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها و فروعها و لا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان
للمشركين حول الكعبة ثلثماية وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا و قالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس
بالذي ينفعهم مما يحمل عليها او بنفع الناس فان قلت قوله ويث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة
لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل واتصل به وصار جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز
عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم و يعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة
وباهر الحكمة وعن النبي علم ويل لمن قراه هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ
أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝ اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون
على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظم المحبوب كحب الله
كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه
وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى
غيره بخلاف المشركين لانهم يعدلون عن اندادهم عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة
الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده
ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم
وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب
اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ
الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ اذ تبرء بدل من اذ يرون العذاب اي تبرء المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع
وقرا مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرء الاتباع من الرؤسا ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرؤا في حال
رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرء والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع
والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ ولو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا
كرة فنتبرء منهم كذلك مثل ذلك الارآء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم

تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وماهم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم
فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ۝
حلالا مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل
حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وقرئ خطوات الشيطان بضمتين وخطوات الشيطان بضمة وسكون وخطؤات بضمتين
وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي
الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة
لا خفاء به انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ۝ انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور
عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب عليه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تع مما لا يجوز عليه فان
قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله تع ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى
انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال
الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ۝ لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات
للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلعم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله تع بل نتبع ما
وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ۝ لا بد من مضاف محذوف تقديره
ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا
جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها
وزجرها ولا تفقه شيئا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته
بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم اباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا
ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل
الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان
قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا فاما نغق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ۝ من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون
الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم
وعن النبي صلعم يقول الله تع اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ۝ وقرئ حرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به
لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت

على

فى الميثاق ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت فقصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه الا ترى ان

القايل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من

حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما فى الحقيقة وقال الله تع لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان

سماه الله تعالى دابة فى قوله تع ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت ماله ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل فى ذكر اللحم لكونه

تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ فى بطونهم ملء بطونهم يقول اكل

فلان فى بطنه واكل فى بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل

الدية التي هى بدل منه قال الشاعر اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر وقال ياكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف

فسماه اكافا لتلبسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة فى تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل

نفى الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ۝ فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم فى التباسهم

بموجبات النار عن غير مبالاة منهم كما يقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من

هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاى شىء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذى روى عن

الكسائى انه قال لى قاضى اليمن بمكة اختصم الى رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك

على عذاب الله ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۝ ذلك بان الله نزل اى ذلك

العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا فى كتب الله فقالوا فى بعضها حق وفى بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفى

شقاق لفى خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم بذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين

فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وبعضهم اساطير لفى شقاق بعيد يعنى ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا لَيْسَ الْبِرَّ

أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى

الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُتَّقُونَ ۝ البر اسم للخير ولكل فعل مرضى ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلى قبل المغرب الى بيت

المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين

ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل

الكتاب فقيل ليس البر العظيم الذى يجب ان تذهلوا بشانه عن ساير صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه

بر من امن بالله وقام بهذه الاعمال وقرى ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد

كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر من امن على تاويل حذف المضاف اى بر من امن او بتاول البر بمعنى ذى البر او كما قالت فانما هى اقبال

وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء وقرى ولكن البار وقرا ابن عباس ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب

جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رض ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى

اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطايه وقدم
ذوي القربي لانهم احق قال علم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال علم افضل الصدقة على ذي
الرحم الكاشح واطلق ذوي القربي واليتامي والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدايم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير الدايم
السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضعيف لان السبيل
ترعف به والسايلين المستطعمين قال رسول الله صلم للسايل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاساري فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل
ذلك على ان في المال حقا سوي الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوي الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف
الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوي الزكوة
والموفون معطوف على من امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن القتال على ساير
الاعمال وقري والصابرون وقري والموفين والصابرين والباس الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين
في الدين يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه
شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدي بعد ذلك فله عذاب اليم عن عمر
ابن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثي اخذا بهذه
الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون
وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله انها منسوخة بقوله النفس
بالنفس والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثي ويستدلون بقوله علم المسلمون تتكافا دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس
بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثي والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا
فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به
لان عفا لا يتعدي الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول
للرجل قل لصاحبك كذا لما بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام
فان قلت ان عفا يتعدي بعن لا باللام فما وجه قوله تع فمن عفي له قلت يتعدي بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن
ذنبه قال الله تعالي عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدي الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جني كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت
له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول
به قلت لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه
وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في
الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخري قلقة نابية عن مكانها وتري كثيرا ممن يتعاطي هذا العلم يجتري اذا
اعضل عليه تخريج وجه المشكل من كلام الله تع على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراءة يستعاذ بالله منها
فان قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض

الورثة ثم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي
جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليود اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان
بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم
العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة
عليهم وتيسيرا فمن اعتدي بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل
للمحالة ولا تقبل منهم دية لقوله علم لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم
تتقون ۝ ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا
للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك
انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة
ويقع بينهما التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل
لوقوع العلم بالقصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان
القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القران اي
لكم في القران حيوة القلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي ارايتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوي في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب
عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ۝ اذا حضر احدكم
الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعماية دينار فقالت
ما اري فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك
خيرا وهذا الشيء يسير واتركه لعيالك وعن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية فقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال
والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت
في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله علم السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث ويتلقى الامة اياه بالقبول حتى لحق
بالمتواتر وان كانت من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث
بحكم الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى الله به تعالى من توريث الوالدين والاقربين من قوله يوصيكم
الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبايهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي
للغني ولا يدع الفقير ولا يجاوز الثلث حقا مصدر موكد اي حق ذلك حقا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه
ان الله سميع عليم ۝ فمن غيره الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين
يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ۝ فمن خاف اي فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم
شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجري العلم جنفا اي ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما او

نعمدا الحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرايهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكره
من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ
فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم عليه الى عهدكم
قال علي رض اولهم ادم عليه يعني ان الصوم عبادة اصلية ما اخلى الله تعالى امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها
وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصايم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه فعليه بالصوم فان الصوم
وجاؤه او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل
فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم
ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة للتحويل عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشورا وثلثة ايام من كل
شهر كتب على رسول الله صلعم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان تتقوا المفطر بعد ان تصلوا العشاء وبعد
ان تناموا ثم نسخ ذلك بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله دراهم معدودة
واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة
او على سفر او راكب سفر فعدة اي فعليه عدة وقري بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما
عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قايل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان
لكل مسافر ان يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسيل مالك عن الرجل يصيبه
الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقايل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رحمه الله لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضا فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن
الجراح رضي الله عنه ان الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضايه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي
وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة
الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى
ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او
صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في
الافطار والفدية وقرا ابن عباس رضي الله عنهما يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم
صوموا وعنه رض يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان
احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر منهم وهم الشيوخ والعجايز وحكم هؤلاء الافطار والفدية
وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا
فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقري فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم
على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراة ابي والصيام خير لكم

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيْ أُنْزِلَ فِيْهِ الْقُرْاٰنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيْضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللّٰهَ عَلَى مَا هَدٰىكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ ۝
الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى داية البعير لكثرة وقوعها عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه
من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها
بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فاوجه ما جاء
في الاحاديث من نحو قوله عم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما
اعيا النطاسي حذيما وارتفاعه على انه مبتداء وخبره الذي انزل فيه القران او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر
مبتداء محذوف وقري بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القران
ابتدي فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القران وهو قوله تعالى
كتب عليكم كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث
عشر والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو ايات واضحات مكشوفات
مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هو هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم
ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن
شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر فيه والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه
ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في
الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر
على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام فيهما فعليه الاعادة وقري اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق
تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر
المرخص له بمراعاة عدة ما افطر ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من
كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يتهدى
الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هديكم ومعنى ولعلكم ارادة ان تشكروا وقري ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا
على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا العدة كقوله تعالى يريدون
ليطفئوا نور الله قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله تعالى والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر
وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا
دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول
الله صلعم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَإِنِّيْ قَرِيْبٌ أُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيْبُوْا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوْا بِيْ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ ۝ فليستجيبوا اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقري

ويرشدون ويرشِدون بفتح السين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا
صليها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضه واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخرة فلما اغتسل اخذ
يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله تعالى واليك من نفسي الخاطئة واخبره بما فعل فقال علم
ماكنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ
لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ
وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وقرئ احل لكم ليلة
الصيام الرفث اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا قيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا
فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو عن شيء من ذلك فان قلت لم كني ها هنا عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله تعالى وقد افضى
بعضكم الى بعض فلما تغشيها باشروهن او لمستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا
لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان
ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت
ما موقع قوله تعالى هن لباس لكم قلت هو استيناف للبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة او الملابسة قل صبركم
عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح
من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله تعالى له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في
الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحرم عن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن
عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال
ابو دؤاد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان
بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله
من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا
اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم
يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع
هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من
الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار
وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلم عليه قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني
بعض البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه فان قلت فما تقول فيما روي عن سهيل

بن سعد الساعدي انما نزلت ولم ينزل من الفجر فكان الرجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والاسود فلا يزال ياكل و
يشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد
لانه ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر ولا يفهم منه اذن الا الحقيقة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين
وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله
اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال
عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان
الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله تع عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه
لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة
وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله تع فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل
ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا
عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلعم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان
حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله تع ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه
الذي لم يبحه الله تع ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طايفة من اموال الناس بالاثم بشهادة
الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلعم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذن منه شيا فان ما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد
منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة
وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح
وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى
يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ مواقيت معالم
يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف
بها وقته وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حايطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر
بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الدار ولكن
البر بر من اتقى ما حرم الله تعالى فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سوالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها
معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السوال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من
البر في شي وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك على سبيل الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا

تمثيلا لتعكيسهم في سوالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ويدخل من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال الله تع وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفس وربط القلوب على ان جميع افعال الله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السوال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله تع واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله تع وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلعم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم او في الشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي والمحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمون ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله تع ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا يكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظلم ظلما للمشاكلة كقوله تع فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله تع فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين م

يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة م

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة
بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى
من ترك الانفاق في سبيل الله لان سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او
عن ترك الغزو الذي هو تقوية العدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو
ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله صلعم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا
واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها
فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال
فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة
ويجوز ان يقال اصلها التهلكة التجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وَأَتِمُّوا
الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا
أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله تعالى
من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال ذو الرمة تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج
الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبهما بشيء من
التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين
فقد يومر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان يقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله
الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل دليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل
يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه عليه السلم الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد
نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان
واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله
اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها
فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامر بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما والشعبي رحمه الله والعمرة لله بالرفع
كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله الذين احصروا
في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل
للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول
ابي حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي رحمهما الله منع العدو وحده وعن